

حديث صاحب الجلالة
للتلفزة الإيطالية «راي أونو»

خص صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، التلفزة الإيطالية «راي أونو» بحديث صحفي عبر فيه جلالته عن ارتياحه لمفاوضات السلام بالشرق الأوسط ودعا إلى فتح صفحة جديدة بخصوص مشكلة الإرهاب وإيجاد صيغ لوضع حد نهائي لها.

وفيما يلي نص هذا الحديث:

سؤال:

صاحب الجلالة، لقد مثل مؤتمر مدريد خطوة على درب تسوية نزاع الشرق الأوسط. ما هو شعوركم وتوقعاتكم بالنسبة للمستقبل؟

جواب صاحب الجلالة:

أعتقد - كما قلتم - أنه تم اجتياز خطوة أولى وهي خطوة جد هامة؛ ذلك أنه إلى حد الآن كانت هناك حواجز نفسية وسياسية، كما كانت هناك بعض الشروط والشروط المسبقة. وقد تم تخطي كل ذلك - ولله الحمد - وجرت الاتصالات المباشرة وجها لوجه بين الأطراف المعنية. وأعتقد أن هذا يمثل خطوة هامة، ذلك أنه — من الآن فصاعدا — سيأخذ الماء مجراه الطبيعي؛ إذ أن النهر لا يجري إطلاقا باتجاه منبعه كما يقال، وإن هذا هو ما يجعلني متفائلا، لكن ستظل هناك مشاكل أخرى.

سؤال:

أرى أنكم متفائلون، لكن هل تعتقدون بصفتكم سبط الرسول أن هناك رئيس دولة عربي بمقدوره التوقيع على معاهدة للسلام تنص على التنازل عن القدس؟

جواب جلالة الملك:

لا يمكن التنازل عن القدس؛ ذلك أنها في إطار القرارين 424 و 338 فهي مدينة احتلت بالقوة، والقراران الأمميان ينصان تحديدا على أن الأراضي المحتلة بالقوة، ليست محتلة بصفة مشروعة. هذا فيما يخص إطار القانون الدولي. ثانيا ليست مدينة القدس مكانا مقدسا بالنسبة لليهود وحدهم، بل هي أيضا مكانا مقدسا بالنسبة للمسيحيين تماما كما بالنسبة للمسلمين.

ونعتبر نحن في البلدان العربية والإسلامية، وأنا أتحدث هنا عن القدس كرئيس للجنة القدس؛ أي أنني لا أتحدث هنا باسم العرب فقط، بل باسم جميع المسلمين الذين يزيد عددهم عبر العالم عن المليار نسمة. إنه لا ينبغي أن تخضع الأماكن المقدسة الإسلامية للسيادة الإسرائيلية. أما فيما يخص الأماكن المقدسة المسيحية والأماكن المقدسة اليهودية، فإن أمرها - في نظري - يهم الفاتيكان من جهة، وإسرائيل من جهة ثانية. وعلى كل حال فإن التنازل عن القدس ليس واردا بالنسبة لنا.

سؤال:

المعروف عنكم أنكم رئيس دولة واقعي. فهل تعتقدون أن إسرائيل ستتنازل يوما ما عن القدس؟

جواب جلالة الملك :

إنني واقعي . ولأنني واقعي أعتقد أن الإسرائيليين لا يمكنهم رفض التنازل بخصوص هذه النقطة ؛ ذلك لأن هذه المسألة لا تمثل قضية سياسية ولاقضية أمنية تمس وجود إسرائيل ، إنها قضية تتصل بالثقافة والعبادة والمعتقدات والدين ، وإذن بالحرية وحقوق الإنسان في عالم القرن العشرين . وأعتبر أنه لا يمكن لإسرائيل هنا بالذات أن تقول لا ، فهي إن أرادت أن تكون واقعية ليس لديها أي سبب موضوعي يدفعها إلى أن تقول لا .

سؤال :

لقد كنتم رئيس الدولة العربية الوحيد الذي دعا وزيرا أول إسرائيليا إلى المجيء للمغرب . فهل يمكنكم دعوة شامير إلى المجيء أيضا؟

جواب جلالة الملك :

لقد دعوت السيد شيمون بيريز أو بالأحرى هو الذي طلب مقابلتي ، ولست أنا الذي دعوته معتبرا أنه ليس لدي ما أعطيه إياه أو أتنازل له عنه . فأنا لست من المنطقة وليست لدي أراضي محتلة . وقد قلت مع نفسي أنه لمن المجدي أن أنصت إليه ، لأنه ينبغي أن ننصت دائما للخصم . أما الآن وإذا كان السيد شامير يرى أنه مستعد لأن يقدم لرئيس لجنة القدس الذي هو في نفس الوقت ملك المغرب ، عبد ربه الجالس أمامكم ، عناصر إيجابية تتعلق بحل مشكل القدس ، فإنني لا أقول بأنه لا يمكنني الإلتقاء به ، فمن الممكن جدا أن ألتقي به ؛ لكن شريطة أن يتقدم بمقترحات جادة .

سؤال :

أليست هناك اتصالات مباشرة الآن ؟

جواب جلالة الملك :

كلا .

سؤال :

هل من الممكن أن يقيم المغرب علاقات دبلوماسية مع إسرائيل؟

جواب جلالة الملك :

عندما تسوى جميع المشاكل ويصبح الوضع عاديا بين الدول العربية وإسرائيل ، فلن يكون هناك ما يمنع المغرب من تطبيع هذه العلاقات .

سؤال :

وليس قبل ذلك؟

جواب جلالة الملك :

كلا .

سؤال :

صاحب الجلالة ، لقد كان المغرب في وضعية خاصة ؛ ذلك أنه البلد العربي الوحيد الذي كانت

له علاقات عادية مع سكانه اليهود حتى في أوج التوتر بين إسرائيل وباقي العالم العربي. بماذا تفسر ذلك؟

جواب جلالة الملك :

لسبب بسيط هو أننا لا نقيم أي تمييز. فعندنا ليس هناك أبدا أي تمييز بين مغربي يهودي ومغربي مسلم، فهذا التمييز سائد عند آخرين وليس عندنا نحن، وهذا في نظري يرجع لعاملين مهمين إثنين: عامل ديني، فبالنسبة للمسلم، إذا وجد في مكان ليس به مسجد فيمكنه أن يؤدي الصلاة بكنيسة أو بيعة لأن كلاهما بيت الله. إذن، فالتسامح الإسلامي يجعل أماكن الشعائر الدينية بالنسبة لنا مقدسة سواء أكانت مسجدا أو كنيسة أو معبدا بروتستانيا أو يهوديا، هذا بالنسبة للجانب الديني.

أما العامل الثاني؛ فهو العامل العقائدي والثقافي. فعلى الصعيد الثقافي، ساهم اليهود المغاربة على الدوام في الخلق والإبداع بالمغرب بفنهم وفكرهم وأدبهم وطبهم وثقافتهم. وعلى الصعيد الإقتصادي كان اليهود المغاربة دوما أناسا نشيطين جدا، سواء عل مستوى الصناعة التقليدية المحلية أو على مستوى العلاقات التجارية مع الخارج، فلم يكونوا أبدا عالة علينا، فلم نعامل اليهود أبدا كأشخاص غير منتجين. فقد شاركوا دائما في الحياة العلمية بالبلاد، وقد تستغربون إذا ذهبتم إلى جنوب مراكش، لأنكم ستجدون هناك يهودا يتكلمون اللهجة البربرية المحلية، ويرتدون الزي السائد، ويحرثون الأرض، وهذا شيء ليس معتادا لدى عامة اليهود.

سؤال :

صاحب الجلالة، ربما كان المغرب البلد العربي الأكثر قربا من الدول الغربية ومن أوروبا؛ لكن بالنسبة لنا ـ نحن الأوروبيين ـ لا نفهم سبب إقامة بلدكم لاتحاد مع ليبيا ومع القذافي الذي يعتبر في الغرب من زعماء الإرهاب الدولي؟

جواب جلالة الملك :

إن ليبيا هي على كل حال دولة عربية وإسلامية وهي جزء من شمال إفريقيا. وأعتقد أنها تقيم مع إيطاليا علاقات تعاون ممتازة، ربما العلاقات السياسية والدبلوماسية ليست كذلك، لكن يمكن القول إن المبادلات بين إيطاليا وليبيا تسير بشكل جيد. لقد أوضحت في حينه أن الرئيس القذافي كان آنذاك هو أفضل ممون للبوليساريو فهو الذي كا ن يقدم للبوليساريو أكبر حجم من الأسلحة والدعم، وارتأيت لأننا لم نكن نعرف بعضنا البعض، أن قربي منه يجعله في اعتقادي يدرك الطريق الصحيح، واعتبرت أن مصلحة بلدي تكمن في هذا النهج قبل أن آخذ بعين الاعتبار وجهة نظر أي بلد كان. وللتاريخ أقول إن الرئيس القذافي تعهد ـ وقد مرت على ذلك الآن عدة سنوات ـ والتزم بتعهداته، ولم يخل أبدا بالتزاماته اتجاه المغرب واتجاهي شخصيا، وأعتقد أنه كان يتعين القيام بذلك.

سؤال :

ما رأيكم في الاتهامات الموجهة إلى ليبيا حاليا بخصوص علاقاتها بالإرهاب؟

جواب جلالة الملك :

ما أقوله ليس فكرة أود إعلانها من خلال شبكة التلفزة الإيطالية « راي أونو »، لكن أرى أنه

يتعين أخذ ما سأقوله لكم بعين الإعتبار . . .

أعتقد أنه ينبغي أن نضرب صفحا عما مضى من الأعمال الإرهابية ؛ بمعنى أن كل عمل إرهابي سيعاقب عليه ابتداء من الآن فصاعدا على الصعيد الدولي بحزم دون أدنى تحفظ . لماذا ؟ لأنه لا يمكن القول في اعتقادي بأن هناك عملا إرهابيا منفصلا عن الأعمال الإرهابية الأخرى ، فالإرهابيون يعيشون في ما بينهم في ما يشبه المجتمع ، وتنفي اعتداء من بدايته إلى نهايته لا يتم بالضرورة من طرف مجموعة واحدة من هؤلاء الإرهابيين ؛ إذ يحدث في لحظة ما أن تحتاج مجموعة إرهابية إلى أخرى لمساعدتها سواء من أجل إخفاء الأسلحة أو من أجل إيوائها بعد الاعتداء .

وأعتبر من ثم أن هناك تداخلا يشوبه التباس كبير ، فلنأخذ حالة الرهائن الذين لازالوا قيد الإحتجاز ، فذلك يعد أيضا عملا إرهابيا ، وأعتقد أن الوقت قد حان بالنسبة للعالم للقول بأنه لن يقع ابتداءا من اليوم أي عمل إرهابي ، وأنه سيتم الإفراج عن كل الرهائن وإطلاق سراح كافة المعتقلين . إن الإعلان عن ذلك لا يعني بالطبع بعث الموتى ضحايا طائرة «أوتي أ» أو طائرة «بانام» .

فالأموات لن يبعثوا سواء تمت معاقبة ليبيا أم لا . لكنه من الأكيد أنه إذا ما تم تنفيذ عمل ما ضد ليبيا التي هي بلد عربي ، فذلك سيجعل البلدان العربية المنخرطة في مسلسل السلام في وضعية صعبة ، ذلك أن الجامعة العربية كل لايتجزأ ؛ وأنا لا أتحدث هنا عن بلدان المغرب العربي ، وأعتقد شخصيا أنه بعد هذا الحدث سيكون كل من يتعاطى الإرهاب قد استوعب الدرس ، وأعتقد أن الوقت قد حان لطي هذه الصفحة لأن العالم دخل عهدا جديدا ، وهذا لا يعني أنني أدافع عن الإرهاب . لا ، إنه ينبغي على كل حال إيجاد حل سياسي له وإن الحل لن يكون أبدا حلا قانونيا .

وأقترح إذن ، أن نضرب صفحا عن ماضي الإرهاب ، ويجب وضع حد لذلك . فمن يقوم بأول اعتداء سيعاقب بأي شكل من الإشكال . وكل ما يمكن القيام به حاليا هو المطالبة بتعويضات ، وأعرف أن التعويض لن يحيي الضحايا من جديد . لكن قصف أو معاقبة ليبيا أو أولئك الذين يحتجزون الرهائن بلبنان ؛ أو معاقبة الذين قاموا باعتداءات أخرى سواء كانوا إيرانيين ؛ أو من بلدان أخرى لن تبعث الأموات . فإذن ، علينا أن ننظر في ما إذا كان بإمكاننا فتح صفحة جديدة .

سؤال :

صاحب الجلالة . . لقد مزقت حرب الخليج ــ ربما أكثر من الإرهاب ــ العالم العربي والإسلامي . هل تعتقدون بعد هذه الحرب أنه بمقدور التطرف الديني أن يصبح أكثر قوة في بعض البلدان؟

جواب جلالة الملك :

لا أعتقد ذلك .

سؤال :

هل تعتقدون أن هذا التطرف الديني يمكنه أن يشكل تهديدا في المستقبل؟

جواب جلالة الملك :

إن التطرف الديني ـ بالشكل الذي تتصورونه وبالبشاعة الذي أراه بها والذي يمكن أن أدعوه بالظلامية ــ لا يمكن أن يؤخذ مآخذ الجد ، لأن العالم يتطور باستمرار ؛ فكلما ذهب سكان العالم

وسكان البلدان الإسلامية على الخصوص إلى المدرسة وإلى الجامعة وانفتحوا على عالمهم الخاص وعلى العالم الخارجي، كلما أصبحوا واعين بحقوقهم العامة وحقوقهم الفردية وإذاك تصبح هيمنة الظلامية أمرا لا يمكن تصوره، لأن الظلامية ليست إلا شكلا من أشكال الديكتاتورية الإرهابية.

سؤال:

معنى ذلك أنكم تفكرون في ديمقراطية للعالم العربي والعالم الإسلامي تعتمد أسلوبا يقوم على المشاركة. ونعلم أنكم قلتم، إذا كنت قد فهمت جيدا خطابكم الأخير أنكم وعدتم بإعطاء مزيد من الديمقراطية للمغرب بعد إجراء الإستفتاء في الصحراء. فأي نموذج للديمقراطية تختارونه لبلدكم؟.

جواب جلالة الملك:

أرى أن هذا السؤال المطروح من قبل صحفي إيطالي سؤال مهم؛ ذلك لأن للإيطاليين أسلوبهم الخاص في التفكير في الديمقراطية، وكذلك الشأن بالنسبة للألمان والفرنسيين والإنجليز. فلماذا إذن تريدون ألا تكون للبلدان الأخرى غير الأوروبية فكرة عن الديمقراطية حسب تصورهم الخاص؟ لماذا يجب دائما نقل التجارب عن الغرب؟

الصحفي:

لذلك أريد أن أعرف أي نموذج تختارونه للمغرب؟

جواب جلالة الملك:

إن الأمر لا يتعلق بنموذج. فالديمقراطية ليست هدفا في حد ذاتها إنما هي منهج للتوصل إلى أحسن النتائج، وإرضاء أكبر عدد ممكن من الناس؛ وذلك يستدعي بالضرورة البحث عن أحسن المناهج. فكل حكومة مهما كانت ديمقراطية، لا تتصرف في أوقات الشدة كما تتصرف في أوقات الرخاء. فحكومة في بلد يعتمد على الفلاحة كإيطاليا أو المغرب، لاتتصرف بنفس الشكل في السنوات العجاف كما في السنوات القطاف. إن الديمقراطية عملية تقوم على الشورى، وهي عملية مطلوبة يساهم فيها الجميع. إنها ليست كالسكة الحديدية ذات خطين متوازيين. فالخطان المتوازيان لايلتقيان أبدا. الديمقراطية خطوط تتقارب وكل خط يتجه إلى هدف معين، وهذا الهدف - في نظري - يتطلب أن نستخدم هاته الوسيلة أو تلك، إلا أن هذه الوسيلة لا تكون واحدة نظرا لاختلاف واقع الحياة.

ففي حالة النمو الديمغرافي المنخفض، يتطلب الأمر اقتصادا معينا، أما في حالة النمو الديمغرافي المرتفع، كأن تبلغ نسبة النمو الديمغرافي 3،5 في المائة، فهناك طريقة أخرى لتسيير القطاعين الاجتماعي والاقتصادي. إن الديمقراطية - بالنسبة لي — هي ضرورة قيام حوار مستمر وأكبر قدر ممكن من التراضي كلما طرأت أوضاع مختلفة. وهكذا فإن الحياة سواء منها حياة الشعوب أو المناطق أو التكتلات، أساسها التغيرات، ولهذا فإنها دائما قابلة للتحسن.

سؤال:

من المعلوم أنكم صديق للبلدان الغربية، فكيف تتوقعون تطور العلاقات السياسية، ولا أتحدث هنا فقط عن العلاقات الاقتصادية بين المغرب والمجموعة الاقتصادية الأوروبية؟.

جواب جلالة الملك:

إنها بـالضبط الديمقـراطية التي كنـا نتكلم عنهـا قبل قليل . فهناك بـرلمان أوروبي وديمقراطيـة أوروبية وانتخابات أوروبيـة في كل بلدان أوروبا . وقبل وجود هذا البرلمان كانت هنـاك معاهدة روما وانطـلاقا من هـذه المعاهـدة ، شرعت الـدول في سن التشريعات سـواء بطـريقة فـردية أو جماعيـة ، فأصبحت الأمور تسير في النهاية على أحسن ما يرام . وكان الجميع يقول أننا ننتظر حلول سنة **1993** بشيء من التخــوف والقلق ، الشيء الــذي جعل بعض الــدول في نهايـة المطـاف تتخلف قليــلا . وفجأة ، حـدث انهيار العالم الإشتراكـي . فماذا سيكون رد فعل المجمـوعة الأوروبية؟ ومـاذا ستفعل أوروبا ؟وماذا ستفعلون بمعاهدة أوروبا ؟وكيف ستفسرونها؟ وماذا سيفعل البرلمان الأوروبي؟ وماذا سيفعل البرلمانيـون الأوروبيون الموجـودون بجميع برلمانـات أوروبا؟ ستصبحـون مضطرين لإعـادة النظر في عملكم على ضوء هذا الحدث الطارىء ، لأنه يوجد بجواركم ما يقرب من **400**مليون من الرجال والنساء والأطفال الذين ينقصهم كـل شيء ، ولا يتوفرون على التكوين الاقتصادي المطلوب وهم يعانـون من حالـة عوز ثقافي ومن حـاجـة مـادية . فعلى ماذا سـوف ترتكـز ديمقراطيتكم؟ هل ستتمسكون بالتفسير الحرفي لمعاهدة روما أم بروحها؟

إنكم مضطـرون إلى أخذ وجـود هؤلاء الأربعمائة مليـون أوروبي بالإعتبـار ، لأن بينكم وبينهم روابط الدم وتنحدرون من نفس الشعوب حتى لا نقول نفس المجموعات العرقية ، وتنتمون إلى نفس الديانة ، فمثـلا أين يتجسد الفرق انطلاقا من منطقة تريست بين مواطن إيطـالي ومواطن يوغسلافي؟ وهذا أمر يصدق على أوروبا قاطبة . وستكونون مضطرين للتغيير .

فلقـد أخذكـم هذا التغيير على حين غـرة ، لقـد فوجئتـم لأنكم لم تضعوا حسـابـاتكم . كنتم تفكـرون في سـوق لـــ**300** مليـون مستهلك ، والآن تجدون أنفسكم أمـام **700** مليـون مستهلك ، فعليكم إذن ـ والحالـة هذه ـ أن تبحثـوا عن عمق إستراتيجي ، وهل ستبحثون عن هـذا العمق في ما وراء المحيط الأطلسي في أمريكا مثـلا ؟ إن ذلك أمر غير ممكن ؛ لأنه سيكون عليكم مـواجهة مشكلة انحسار الاقتصـاد الأمريكي و سيطرح مشكل الإتفـاقية العامة للتجـارة والتعرفة الجمـركية ، أم هل ستتوجهون نحو اليابان؟وهذا ليس ممكنا كذلك ؛ لأن هذا البلد سيقوم باجتياحكم ولن يكون وحده قادرا على تلبية حاجيـاتكم . فإذن ، ماذا ستفعل الدول الأوروبية و خاصة الـدول المتوسطية؟ سيكون عليها تبني الرؤية التقليديـة والتاريخية والثقافية العريقة ؛ أي أن يكون تـوجهها متوسطيا ، وأعتقد أن البحر الأبيض المتوسط يمثل العمق الاستراتيجي لأوروبا .

سؤال :

بمعنى ـ إذا فهمت جيـدا ـ أنكم تفكرون في المستقبل انطـلاقا من رؤية استراتيجية قـائمة ليس فقط على التعاون الإقتصادي ، ولكن أيضا على التعاون السياسي بين جميع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ؟

جواب جلالة الملك :

أعتقـد ذلك ، وإذن ، يجب القيـام بمجهـود ، علينـا أن نحلم ونحن نفترض أن مشكلـة الشرق الأوسط قـد عرفت طريقها إلى الحل ، وإذاك سيتحقق الانسجـام والوئام ، التأمين بين شرق البحـر الأبيض المتوسـط وغربه ، وكما يقـول صديقنـا لابيرا سيصبح البحر الأبيض المتـوسط شبيها ببحيرة طبرية ، بحيرة تتعايش حولها الديانات الثلاث في سلام وتعاون .

الصحفي :

شكرا جزيلا يا صاحب الجلالة .

17جمادى الأولى 1412هـ ـ 25نونبر 1991م